المؤتمر العام الرابع عشر

٢٢- ٢٥ شعبان ١٤٢٨هـ/ ٤- ٧ أيلول ٢٠٠٧م

# الحب في القرآن الكريم
# العلاقات الأسرية نموذجاً

الشيخ أحمد بن سعود السيابي

عَمّان – المملكة الأردنيّة الهاشميّة

# الحب في القرآن الكريم: العلاقات الأسرية نموذجاً

الشيخ أحمد بن سعود السيابي

الحمد لله، نحمده ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الرحمة المهداة والنعمة المسداة، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم القيامة والدين.

أمّا بعد، فهذا بحث بعنوان "الحب في القرآن الكريم العلاقات الأسرية نموذجاً"، مقدّم إلى مؤتمر مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، بالمملكة الأردنية الهاشمية، والبحث يتكون من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ويتحدث عن القرآن العظيم كتاباً منزلاً من عند الله تعالى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، من حيث لفظه ومعناه ومحتواه.

القسم الثاني: ويتحدث عن الحب بقسميه الحب الفطري الغريزي والحب الإيماني العقدي، مبيناً أن الحب في العلاقات الأسرية ينبني على الحب الفطري الغريزي.

القسم الثالث: الحب في العلاقات الأسرية، كحب الوالدين والأجداد وحب الزوجة وحب الأولاد والأحفاد، وحب الأخوة وحب الأرحام وحب الأقارب.

وقد اعتمدت في البحث على القرآن الكريم وحده في الاستدلال والطرح إلاّ في النذر اليسير من غيره، كالأحاديث النبويّة، وبعض الأقوال الفقهية والأدبية، وذلك لأمرين:

أحدهما: أنّ عنوان المؤتمر "الحب في القرآن الكريم".

والأمر الثاني: حتى لا يدخل البحث في كثرة التفاصيل عن الاستدلال بالقرآن الكريم.

والله ولي التوفيق

**القرآن: لفظاً ومعنى ومحتوى**

القرآن في اللغة مصدر بمعنى الجمع، يقال قرأت الشيء قرآناً أي جمعته، وبمعنى القراءة، يقال قرأت الكتاب قراءة وقرانا، ثم نقل إلى هذا المجموع المقروء المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم المنقول عنه تواتراً فيما بين الدفتين[١].

أمّا الكتاب فهو نظم نزلا على نبينا وعنه نقلا
تواترا وكان في إنزاله أعجاز من ناواه في أحواله[٢]

ويورد نور الدين السالمي، تعريفاً على هذا المعنى بقوله: (الكتاب هو النظم المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم المنقول عنه بالتواتر)[٣].

هذه هي تعريفات القرآن الكريم الذي هو كتاب الله الخالد الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

وإن كثرت التعريفات وتعدّدت في الكتب والمؤلفات فهي لا تخرج عن هذه التعريفات الآنفة الذكر.

ويلاحظ ورود كلمة التحدي في التعريفات المعرفة للقرآن والتركيز عليها، غير أنه هل كان فعلاً، التحدي لمشركي العرب مقصداً من مقاصد نزول القرآن، وهل ما يعرف بالإعجاز البياني الذي هو أحد وجوه الإعجاز في القرآن قصد منه التحدي، علماً بأنّ هناك وجوهاً أخرى للإعجاز كالإعجاز العلمي والإعجاز التشريعي والإعجاز الجزي وغير ذلك من وجوه الإعجاز.

أم أنه عندما عارضوه وكابروه تحدّاهم إثباتاً لصدقه كلاماً من الله تعالى، وإثباتاً لصدق محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً من الله، وقد تحدّاهم بأن يأتوا بمثله فعجزوا، وتحدّاهم بأن يأتوا بعشر سورٍ من مثله فعجزوا،

(١) الشريف الجرجاني، حاشية الكشاف، ج١، ص٤.

(٢) عبد الله بن حميد السالمي، شمس الأصول.

(٣) السالمي، طلعة الشمس، ج١، ص٢٧.

وتحدّاهم بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] . ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٣] . ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ [هود: ١٣] .

وهناك من يرى أنّ القرآن معجز بالصرفة، أي أنّ الله صرف العرب آنذاك عن معارضته[١] .

على أنّ حال القرآن مع مشركي العرب كما يقول الزمخشري (أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء، وأبكم من تحدّى به من مصاقع الخطباء، فلم يتصد للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم، ولو لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم، على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء، وأوفر عدداً من رمال الدهناء، ولم ينهض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط في المضادة والمضارة، وإلقائهم الشراشر على المعازة والمعارة)[٢] .

هذا هو حال العرب مع كتاب الله تعالى الذي هو ذكر لهم، رافع لشأنهم جاعل منهم أمة بين الأمم ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤] . ولكنهم أنفوا من ذلك وعارضوه بشدّة حسداً وبغضاً مع تيقّنهم بأنه كتاب من عند الله وبأنّ محمداً رسول من الله ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤] .

والقرآن هو وحي الله الجلي أوحاه الله إلى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الأمين جبريل عليه السلام . كما أنّ كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بالسنة هو الوحي الخفي .

وقد جاء القرآن مشتملاً لفظه ومعناه على المحكم والمتشابه، والعام والخاص، والمطلق والمقيّد، والمنطوق والمفهوم، والمجمل والمفسّر .

[١] ابن بركة، الجامع، ج١، ص٥٢ .

[٢] الكشاف، ج١، ص١٠ .

كل ذلك ليكون القرآن الكريم كتاب هداية، وكتاب بيان، وكتاب علم، وكتاب سلوك، ودستور أمة، ونظام مجتمع، وقانون دولة ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] . أي أنه يقود الإنسان إلى كل شيء ذي قيمة للدين والدنيا، للأولى والآخرة، فالأقومية هنا هي أقومية كل أمر من أمور المعاش والمعاد، فالقرآن فيه حل لجميع المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والسياسية، حيث يضع لكل مشكلة الحل المناسب الناجع، كما أنه يعالج جميع الأمراض الاجتماعية باتّباع أوامره واجتناب نواهيه، ويقول الله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] .

## الحبّ الفطري والعقدي

يعرّف إمام اللغة الفراهيدي الحب بأنه نقيض البغض[١]، ويعرّفه الفيروز آبادي بأنه الوداد، كالحباب، والحبة والحباب بالضم أحبّه وهو محبوب على غير قياس[٢] .

والحبّ ينقسم إلى قسمين؛ أحدهما: فطري غريزي، والثاني: إيماني عقدي .

فالحب الفطري أو الغريزي: هو ما يتعلّق بالأقارب والأرحام، كالوالدين والزوجة والأولاد والأخوة وسائر الأقارب والأرحام .

أمّا الحب الإيماني أو العقدي: فهو الذي توجبه العقيدة، ويقابله البغض العقدي، وهو ما يعرف بالولاء والبراء أو الولاية والبراءة. والولاية هي: القرب والقيام للغير بالأمر والنصر والاهتمام بالمصالح والحفظ والاتصال. أمّا البراءة فهي: البعد والتخلّص[٣] . وهو ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم "أوثق الإيمان الولاية في الله بالحب فيه والبغض فيه"[٤] . ويقول ابن عباس: (حب في الله، وابغض في الله، وعاد في الله

[١] الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين .

[٢] الفيروز آبادي، القاموس المحيط .

[٣] السالمي، المشارق، ص٤٣٧، ٤٣٩، دار الحكمة، لندن .

[٤] رواه الحاكم .

ووالٍ في الله)[1]. وقد جاءت الآيات القرآنية دالّة على ذلك، يقول الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. كما يذكر الله تعالى في هذا المعنى موقف نبي الله إبراهيم الخليل عليه صلوات الله وسلامه وقومه المؤمنين من قومهم الكافرين؛ إذ يقول عز من قائل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الممتحنة: ٤]، هذا الموقف الأوّل من النبي إبراهيم لأبيه. أمّا الموقف الثاني فهو: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]. على أنّ هذا الموقف أي الموقف الثاني الذي حكاه الله عن النبي إبراهيم عليه السلام، هو المطلوب إعلانه من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين، حيث يقول الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

وقد طبّق النبي صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ على المتخلفين عن غزوة تبوك حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وحتى تاب الله عليهم نتيجة توبتهم وندمهم والشعور بخطئهم في حق الله ورسوله والمؤمنين وفي حق الإسلام عموماً: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١١٧– ١١٨]. ولعلّ الحكمة في شمول توبة الله

[1] السالمي، شرح مسند الربيع، ج١، ص١١٨.

عليهم التوبة على النبي والمؤمنين أيضاً هي أن لا يظلوا ينبزون ويلمزون بذلك اجتماعياً ودينياً، ولكي لا ينظر إليهم باحتقار داخل المجتمع الإسلامي، كما أنه لكي لا تبقى لديهم عقدة الشعور بالذنب والنقص، أي وبتعبير أوضح حتى لا يكونوا سلبيين في الحياة.

على أنه بين قسمي الحب، الحب الفطري الغريزي، والحب الإيماني العقدي فإنّ العلاقات الأسرية تنبني على الحب الفطري الغريزي نظراً إلى الحاجة إلى الرابط الأسري، وإلى الحاجة إلى التعاون والتراحم والتوادد بين الأقارب بعضهم البعض، وهو ما سنذكره في القسم التالي:

## الحب في العلاقات الأسرية

يتجلّى الحبّ في العلاقات الأسرية عبر عدة مستويات، هي:

### ١. حب الوالدين:

شدّد القرآن على حب الوالدين الأب والأم، وحذّر من عقوقهما، يقول الله تعالى: وَقَضَىٰ﴿ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣- ٢٤]. ويقول جلّ شأنه: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وإذا كان القرآن وصّى بالوالدين وبالإحسان إليهما، فإنه جعل حقّ الأم أكبر من حقّ الأب، ولعلّ ذلك عائد إلى ضعفها، وكون حاجتها إلى ولدها أشد من حاجة الأب إليه، ونتيجة لمعاناتها به أثناء الحمل والولادة والتربية، فإنها تبذل في ذلك من الجهد أكثر مما يبذله الأب، لذلك استحقّت المزيد من التقدير والعطف والرأفة والحنان. وقد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي جاء يسأله عن أحقّ الناس بالصحبة، فأجابه (أمك) ثلاث مرات، وفي الرابعة قال له (أبوك)[1]، وبالمعادلة الحسابية فإنّ حق الأم يساوي ٧٥% مقابل حق الأب.

[1] البخاري ومسلم.

والله تعالى قرن الإحسان إلى الوالدين بنهيه عن الإشراك به في عدّة آيات من كتابه العزيز، تعظيماً لحقهما . ويظل الإحسان إليهما ، وتقديم المعروف إليهما من ولدهما المسلم حتى في حال شركهما بالله تعالى، بل وحتى في حال محاولتهما حمل ولدهما المسلم على الشرك والكفر بالله، فإنّ الولد مأمور بأن يقدّم إليهما معروفاً من القول وجميلاً من الفعل، ويجب عليه حيالهما أن لا يأخذه الانفعال نتيجة اختلاف الدين وتباين الملّة بينه وبينهما إلى الإساءة إليهما ، بل عليه أن يلين القول لهما بعدم طاعتهما ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا ﴾ [لقمان: ١٥] . وقد وصل الأمر بالإحسان إلى الوالدين ذروته، أنه حتى في حال عدم التوارث بينهما نظراً لاختلاف الدين، حيث "لا يتوارث بين أهل ملتين"[١] كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم . فإنّ الله تعالى أمر لهما بالوصية في قوله عزّ من قائل: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٨٠]، فإنّ الآية تجعل الوصية للوالدين غير المسلمين باقية غير منسوخة، ومن القائلين بعدم نسخ الوصية للوالدين غير المسلمين الإمام ابن بركة العماني، حيث يقول: (فمن ادّعى أنّ الوصية للوالدين والأقربين منسوخة كان عليه إقامة الدليل) ، إلى أن قال: (فلمّا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث، خصّ من هذا المذكور الوارث بالمنع من الوصية وبقي الباقي على حكمه) [٢] . فابن بركة يرى أنّ الحديث مخصّص للآية بمنع الوارث من الوصية، ويبقى غير الوارث داخل في الوصية، وبما أنّ الوالدين غير المسلمين محرومان من الميراث لاختلاف الدين فتبقى الوصية صلة لهما من ولدهما المسلم بعد موته .

وهذا الذي ذهب إليه ابن بركة، يقول به أبو إسحاق إبراهيم اطفيش الجزائري نزيل مصر ودفينها ، نقل ذلك عنه شيخنا الخليلي أبقاه الله تعالى .

[١] رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة .

[٢] الجامع، ج٢، ص٥٦٢ .

على أنّ هذا الأمر من الحبّ والتقدير يصعد أعلى فأعلى إلى الأجداد جداً بعد جد، ويقال إنّ هذا الأمر مغروز في الجينات الوراثية في البشر، وهذا ملاحظ عندما يتعرّف إنسان ما إلى جد من أجداده ولو إلى ما قبل المئات من السنين، فإنّ خصوصية الانتماء العائلي تنبعث في وجدانه وعاطفته ليجد المرء نفسه منساقاً عاطفياً ووجدانياً إلى ذلك الجدّ الذي يسبقه بزمان طويل.

**٢. الزوجة:**

يقول الله تعالى في حق الزوجة والعطف عليها والتذكير بما يجب أن يكون عليه حال الزوجية: ﴿ **وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الروم: ٢١]. فعناصر هذه الآية الكريمة تفيض طمأنينة ورقّة وسكينة وراحة بال.

وذلك أنّ الزواج آية من آيات الله تعالى الكثيرة التي امتن الله بها على عباده، ومنها بالطبع آية الزواج لأنّ به تسير الحياة وتستقر، ومما يزيد من هذا الاستقرار والطمأنينة كون الزوجين من جنس واحد لمزيد التآلف والاطمئنان بينهما، فإنّ أياً كان ينجذب إلى ما هو من جنسه، والمطلوب من ذلك الزواج السكون، وهو سكون النفس والقلب والجوارح، أي أنه سكون شامل يخلد إليه الإنسان، هروباً من مطبّات الحياة وأعاصيرها، وكلمة السكون لها إيحاء من إشاعة السكينة والاطمئنان والسعادة الإنسانية، فهي تصوير دقيق لما تكون عليه الزوجية من تناغم وتجانس وانسجام. كما أنّ الرحمة والمودّة هما تاج الحياة الزوجية، فالمحبة والعطف والتراحم من أهم عوامل الاستقرار والديمومة والنجاح، بيد أنه لا يدرك تلك الجماليات للحياة الزوجية إلاّ من يستعمل عقله مفكّراً في ذلك كلّه.

ولا ريب أنّ الآية الكريمة تبين أهمية الزواج في حياة الناس، والرسول صلى الله عليه وسلم، وهو المبين عن ربه في كتابه العزيز، يبين صفة تلك الزوجة التي تنبني عليها الحياة الزوجية القائمة على المودة والرحمة والسكون والطمأنينة، بقوله: "ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرّته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله"[١].

[١] رواه ابن ماجة.

وتقديراً لتلك الحياة الزوجية، فإنه عندما تضيق بالزوجين الحياة، ويقرّران الانفصال، فإنّ على الزوج أن تكون ذاكرته عامرة بالجانب الإيجابي الجميل فيما مضى من تلك الحياة، يقول الله عز وجل: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ٢٠- ٢١]. فالتعبير بكلمة أفضى توحي بالمعنى الجميل، وهو إفضاء شامل، إفضاء بالمشاعر والأحاسيس كما هو إفضاء بالأجسام.

**٣. حب الولد:**

الولد، هو ذلك الكائن البشري الذي يحمل استمرار الحياة امتداداً لأبيه وأجداده، لكي تستمر الحياة، وتتحقق عمارة الأرض ومن المعلوم أنّ الهدف الأسمى والمقصد الأسنى من الزواج هو وجود النسل لكي تستمر البشرية، وتعمر الأرض، والولد هو محور الزواج وهو الذي تستمر به الحياة، لذلك كانت وصية الله بالأولاد في الميراث: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء: ١١]، وكلمة يوصي فيها إيحاء بخصوصية الرعاية والاهتمام، والملاحظ أنها وردت في ميراث الأولاد، ولم ترد في ميراث الأقارب الآخرين من غير الأولاد، دليلاً على خصوصية معينة هناك تربط بين الأب والولد، حيث إنّ ولد الرجل من كسبه كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم "ولد الرجل من كسبه"[1]. كما أنّ الله عز وجل ذكر البنين وأولادهم (الأحفاد) على سبيل الامتنان منه عز وجل إلى هذا الإنسان لكي يذكر نعمة الله عليه بأن رزقه بنين وحفدة ولكي يتوجه بالشكر خالصاً إلى الله وحده، مسبب الأسباب ومقدّر الأشياء، فالله تعالى يقول: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٢]. وبما أنّ الأب والأجداد هم أصول الشخص فإنّ الولد والأحفاد هم فروعه، وهم من كسبه كما جاء في الحديث، لذلك فإنّ محبتهم مغروزة في قلوب الآباء والأجداد، ولا ريب أنّ عاطفة الحب تجاه الأولاد

[1] رواه أبو داود والنسائي والحاكم وأحمد والترمذي وابن ماجة.

والأحفاد، أكثر منها تجاه الآباء والأجداد بينما التقدير والاحترام تجاه الآباء والأجداد أكثر منهما تجاه الأولاد والأحفاد، وهو أمر ملاحظ في سلوك الناس في العلاقة الأسرية.

على أنّ الأدبيات التاريخية والسلوكية حافلة بمثل هذا الحب والاحترام، أسلوباً للتعليم والتوجيه، حفاظاً على الترابط العائلي من جهة، ولكي يقتفي الخلف أثر السلف في المحامد والمكارم وخصال الخير من جهة ثانية.

### ٤. حب الأخ:

من المعروف اجتماعياً أنّ الأخ هو عضد أخيه وركنه الشديد الذي يأوي إليه عند الشدائد والمحن، وإذا ما خمدت عاطفة الأخوّة في بعض الأحيان، فإنها سرعان ما تثور وتتأجج لتعود إلى قوّتها وتدفقها، وتلك هي قصة ابني آدم عندما قتل أحدهما الآخر، وعجز عن مواراة سوأة أخيه المقتول، تأججت فيه عاطفة الأخوّة وتذكّر أخاه نادماً على فعلته، ولكن بعد فوات الأوان، يقول الله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

ونبي الله موسى عليه السلام رأى أنّ الأخ هو الذي يعتمد عليه في الأمور ويستعان به عند الشدائد فطلب من الله أن يعينه بأخيه هارون، لمواجهة الطاغية فرعون من جهة، وليكون له عوناً على عبادة الله وحمل رسالته من جهة أخرى، يقول الله عز وجل حكاية عن النبي موسى: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٩– ٣٥].

وعندما ضلّ قومه وزاغوا عن الرشد في غيابه وما كان بوسع هارون أن يثنيهم عن ذلك الضلال، ورجع موسى إليهم غضبان أسفاً وأخذ بلحية أخيه هارون يجرّه إليه من الغضب، ذكّره هارون بالأخوة المنبثقة عن أمومة واحدة: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ [طه: ٩٤].

وعندما أتعبه قومه ضجراً وعناداً – وما أكثر ما أتعبوه به – رفع أمره إلى الله شاكياً منهم معتذراً إلى ربه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٥].

كما أنّ النبي يوسف عليه السلام عندما أراد أن يدخل الطمأنينة وعدم الخوف على قلب أخيه الشقيق ذكر له إخوّته حتى لا يخاف ولا يحزن بما فعله ويفعله إخوانه الآخرون الذين أساءوا إلى أخيهم يوسف: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَآ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [يوسف: ٦٩]. وقد فاض الأدب العربي بمكانة الأخ في النسيج الاجتماعي، وبأنه المعين والمساعد عند الحوائج والملمات، يقول الشاعر:

أخاك أخاك إن من لا أخا له  كساع إلى الهيجاء بغير سلاح

**٥. حب ذوي القربى:**

قرابة الإنسان هم امتداده الاجتماعي والأسري، وبهم يأنس ويتجمّل في الحياة، فالقرابة بالنسبة إلى الشخص كالشجرة وارفة الظلال، متفرّعة الأغصان، يأوي إليها، ويعيش في رحابها مطمئن البال مسترخي الجوارح، هانيء الحال، لذلك نجد أنّ الله تعالى يوصي بذوي القربى مراعاة لهم، وتواصلاً معهم في آيات عديدة من كتابه الكريم منها قوله تعالى: ﴿ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [البقرة: ٨٣].

وإذا حضر القريب قسمة ميراث، فإنّ القرآن يأمر بأن يقسم له شيء من التركة ليعطى إياه: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾ [النساء: ٨].

أمّا إذا كان القريب جاراً فإنّ حقه مضاعف كما هو مقرّر في الفقه، يقول المولى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النساء: ٣٦].

ويقرن الله تعالى بين الأمر بالعدل والإحسان وبين إيتاء القريب من النفع والعطاء والمواصلة واعظاً عباده بذلك، حيث يقول عز من قائل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [النحل: ٩٠].

والقريب هو أول من يجب أن يعطى الحق سواء كان حقاً واجباً أو حقاً غير واجب، وسواء كان حقاً مالياً أم غير مالي، مادياً أو معنوياً: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الإسراء: ٢٦].

ولأهمية القرابة الأسرية، في الالتفاف والاستجابة، فإنّ النبي عليه السلام طالب بها قومه من قريش، مستعطفاً بها قلوبهم، مذكّراً إياهم بما يترتب عليهم بناء عليها: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣]. والمعنى أي أنكم إن لم تراعوني كوني نبياً مرسلاً من الله تعالى، فعلى الأقل يجب أن تراعوا حق قرابتي منكم، ومن المعلوم أنّ إيذاء وظلم الأقارب للشخص أشد وطأة على النفس، وآلم مرارة على القلب، وأنكى جرحاً في الجسد الأسري لما يترتب على ذلك من قطيعة وهجران.

لذلك يقول الشاعر العربي طرفة بن العبد:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند[1]

ومما تقرّر فقهاً وجوب حق الأقارب، فقد نقل عن أمير المؤمنين الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّ حق الأقارب واجب[2].

### ٦. حب ذوي الأرحام:

الأرحام هم أيضاً أقارب الشخص، والاسم يوحي بمعنى جميل جداً، وهو التراحم بين الأقارب، ولا ريب أنه بذلك التراحم يكون التماسك العائلي، الذي حثّ عليه الإسلام من جمع للشمل وعدم التفرّق.

على أنّ كتب الفقه في أبواب الحقوق لا تفرّق بين المدلين إلى الشخص من جهة الأب والمدلين إليه من جهة الأم، وتعتبر الجميع قرابة وأرحاماً، بينما كتب الميراث، أو أبواب الميراث في الكتب الفقهية تحصر الأرحام في قرابة الشخص من جهة الأم.

[1] طرفة بن العبد، المعلّقة.

[2] عامر بن علي الشماخي، الإيضاح، ج١، ٢، ص٥٧٤.

ولعلنا لا نبعد النجعة في القول إذا فرّقنا وقلنا بأنّ ذوي القربى هم قرابة الشخص من جهة الأب وهم الذين يطلق عليهم العصبة، أمّا الأرحام فهم أولئك الذين يدلون إليه من جهة الأم.

وقد عظّم الله من شأن الأرحام، معتبراً صلتها من أمارات التقوى، حيث قال: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [النساء: ١]، أي اتقوا الله في الأرحام لا تقطعوها، أو اتقوا قطيعة الرحم.

وعندما نسخ الله الميراث بالتآخي الذي عقده النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار عقب الهجرة من مكة إلى المدينة، جعل صفة الرحم بديلاً عن تلك المؤاخاة، يقول المولى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٦]، وهذه الأولوية في النفع بشكل مطلق، كما هي في حصول الإرث أيضاً.

ويقول الله أيضاً في سورة الأنفال: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٧٥].

يقول الشيخ اطفيش: (وفي الآية إشارة إلى الإغراء بصلة الرحم وإلى ضعف القول بأن يكفي أنك نويت الاتصال بينك وبينهم ولم تنو قطعتهم، والحديث يحثّ على وصلهم بالمال والبدن والجاه ونية النفع إن لم تجد)[1].

أمّا أولئك الذين لا يبالون بصلة الأرحام ويعمدون إلى القطيعة، نية وعملاً فإنّ الله أنزل في كتابه الكريم ذمهم وتوبيخهم منكراً عليهم فعلهم القبيح ذلك، قائلاً لهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٥].

وصلة الأرحام فرض واجب على كل واحد من الرجال والنساء، وعلى المرء أن يصل أرحامه ولو قطعوه، باعتبارها –أي صلة الأرحام– فرضاً واجب الاتباع.

والرسول صلى الله عليه وسلم أمر ذلك الرجل الذي جاء يسأله عن صلة أرحام له يسيئون إليه، بأن يصلهم ولا يقطعهم، فقد جاء في الرواية أن رجلاً قال: يا رسول الله (إنّ لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم

[1] محمد بن يوسف اطفيش، تيسير التفسير، ج٥، ص٣٧٨، تحقيق إبراهيم حلاي وآخرين.

ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معهم من الله ظهيراً عليهم ما دمت على ذلك) [١] .

وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة قاطع رحم" [٢] .

وشيء جميل أن ننقل شيئاً مما قيل عن صلة الأرحام مما تقرّر فقهاً (وفي الأثر: ومن أبغضه أرحامه، وحقّروه، وقدحوا في ذمّه، وعزموا على جلائه من بلده، فتوغّر قلبه عليهم وهجرهم وهم منافقون، فقد أمر الله بصلة الأرحام، ونهى عن قطيعتهم، وفي الرواية: قال صِل من قطعك، واعف عمن ظلمك، وأرى لهذا الرجل إن أمن على دمه أن يصل أرحامه ويعينهم ويعفو عنهم، فإن لم يأمن على دمه فليلاطفهم برسالته، ويصلهم بسلامه مع رسول، أو كتاب، أو هدية يسكن بها أنفسهم، وهي أفضل الصلة، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صلوا أرحامكم ولو بالسلام، وليتق الله هذا الرجل ويصل رحمه" [٣] .

من كل ما جاء ذكره قرآناً وسنة وفقهاً ، تبين أهمية صلة الأرحام فرضاً واجباً على الإنسان .

[١] مسلم .

[٢] مسلم، أبو داود، الترمذي .

[٣] عامر بن علي الشماخي، الإيضاح، ج٢، ص٥٧٦، مكتبة مسقط .

# الخاتمة

مما مرّ تبين لنا أهمية العلاقات الأسرية في النسيج الاجتماعي، الذي يتكون منه المجتمع الإنساني الكبير وأنّ الحب في تلك العلاقات بين أفراد الأسرة هو الركيزة التي تقوم عليها الأسرة، والمحور الذي تتمحور حوله العائلة، وقد عرفنا كيف أن الإسلام شدّد على الترابط الأسري، ومقصده من ذلك بالطبع بناء مجتمع قوي متماسك تظلّه ظلال المحبّة والوئام. وقد ناقشت كتب الفقه الإسلامي حقوق كل وحدة من وحدات الأسرة أو العائلة، بيد أنها تمزج بين أقارب الشخص من جهة أبيه وبين أقاربه من جهة أمه، وتعبّر عن الجميع تارة بذوي القربى وتارة بالأرحام. وقد رأيت أنه لعل من المناسب أن نعتبر ذوي القربى هم أقارب الرجل من جهة أبيه وهم الذين يعرفون بالعصبة، وذوي الرحم هم الذين يكونون من جهة الأم. وهذا التوصيف أو التصنيف لم يكن الهدف منه إلاّ مزيد التعرف على حقوق كل وحدة أسرية أو كل واحد من الأسرة، ويرى بعض محققي الفقهاء أنّ الأقرب إلى الشخص أكثرهم حقاً عليه، وهذا الحق لا يقطعه تصرّف شائن أو سلوك بائن، يقول الشيخ السالمي في كتابه الرجزي مدارج الكمال وهو يتحدث عن حقوق الأقارب:

وفسقهم لا يقطعن حقهم ... كالوالدين لا يحل عقّهم

لذلك كان هنالك قسمان للحب:

- حب فطري غريزي، وتتكون به العلاقة مع الأقارب والأرحام، تقوية للأواصر والروابط.
- حب عقدي إيماني، وهو يتعلق بالتعليم الديني لشخص ما، وهو ما يعرف بالولاية والبراءة، أو الولاء والبراء.

والله ولي التوفيق والسداد في القول والعمل

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.